٦ ـ ما بأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب، هي مما وقع فيه التحريف، بنص القرآن: تحريف كتاب ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة:٧٩)، وتحريف لسان ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ (آل عمران:٧٨)، وتحريف معاني ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة:٤١).

٧ ـ والقرآن كلام الله حقيقة، حروفه ومعانيه، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود قبل يوم القيامة، ولا يسع أحدًا الخروج عن شريعته إلى يوم الدين.

الإيمان بالرسل والأنبياء:

الرسول من أوحى الله إليه، وأمره بتبليغ رسالة، والنبي من أوحى الله إليه، ولم يؤمر بتبليغ رسالة، والرسل جميعهم دينهم واحد، وهو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران:١٩)، ودعوتهم واحدة هي التوحيد، صادقون مصدقون، بارون راشدون، هداة مهتدون، بلَّغوا كل ما أمروا به، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، وكفر بالله الذي أرسلهم، وأفضلهم أولوا العزم: محمد،

وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وأفضلهم محمد ﷺ، والتفضيل بينهم لله لا للناس، ولا يكون بانتقاص المفضول، ومعنى عدم التفريق بين أحد منهم أي في الإيمان بهم جميعًا، وإن كان بعضهم أفضل من بعض. والرسل رجال، وبشر من البشر، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وجعل الله لمن شاء منهم أزواجًا وذرية، فلا يُعبَدون ولا يُغَالي فيهم، وقد خَصَّهم الله بالأخلاق العظيمة: من الصدق، والأمانة، والطهر، وعصمهم من المعاصي، وإجماع أهل السنة على عصمتهم من الكبائر، والصحيح أن العصمة من الصغائر أيضًا، لا من النسيان، والسهو، والخطأ، وسائر عوارض البشرية، لكن لا يقرون عليه بل يُنهون، لذا فهم قدوة للعباد ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ويجب الإيمان بالخمسة والعشرين نبيًا المذكورين بأسمائهم في القرآن، والإيمان بأن هناك رسلاً آخرين لم

يقصهم الله على نبيه في القرآن، واتباع محمد ﷺ فرض على كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيامة، إذا بلغته رسالته، لا يقبل الله من أحد صرفًا، ولا عدلاً إلا بالإيمان به، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الاعراف: ١٥٨)، وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا ادخله الله النار»[1].

وكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر لا يجوز تصديقه قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الاحزاب: ٤٠)، وقال النبي ﷺ: «لا نبي بعدي»، فطوائف البابية والبهائية والقاديانية وما شابهها كلها خارجة من ملة الإسلام تجري عليها أحكام المرتدين، والمسلمون هم أتباع كل الأنبياء إذ دين الأنبياء واحد هو الإسلام، وإنما تعددت الشرائع، وشريعة الإسلام مهيمنة على سائر الشرائع.

---

(١) رواه مسلم.

ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع النبي ﷺ كالخضر مع موسى لا يلتزم بشريعته، لأن له شريعة أخرى فهو كافر بالإجماع، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو كان موسى بن عمران حيًا لما وسعه إلا أن يتبعني».

وكل نبي أفضل من جميع الأولياء بالإجماع، والصحابة هم سادات الأولياء بعد الأنبياء، وكل مؤمن تقي ولي من أولياء الله، وبحسب إيمانه وتقواه بحسب ولايته له تعالى. والنبوة لا تُنال بالكسب والاجتهاد، بل هي فضل ومنة من الله ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة، فهذا هو الفارق بين الكرامة الرحمانية والخارقة الشيطانية، والاستقامة هي أعظم كرامة.

الإيمان باليوم الآخر:

ويشمل الإيمان بالموت وسؤال القبر وحياته، وعلامات الساعة والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

١ ـ الموت حق على جميع المخلوقات ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص:٨٨)، والمقصود الأعظم هو الاستعداد له قبل نزوله بالإيمان والعمل الصالح.

٢ ـ يجب الإيمان بسؤال الملكين لكل ميت عن ربه وعن دينه ونبيه، وأن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وذلك يحصل لروحه وبدنه، ومَن كذَّب بهذا فهو ضال مبتدع.

٣ ـ ويجب الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى، فمن الأشراط الصغرى: رفع العلم، وظهور الجهل، وضياع الأمانة، وكثرة النساء، وكثرة القتل، وغيرها مما ثبت في النصوص، ومن الأشراط الكبرى: ظهور المهدي، وظهور المسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم يحكم بشريعة الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية (أي لا يقبلها) ويقتل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسف، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

٤ ـ ولا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله، فلا إطلاع لملك مقرب ولا لنبي مرسل على ذلك، ويجب الإيمان بالنفخ في الصور، وقيام الأجساد بعد عودة الأرواح إليها، والحساب والميزان والصراط، وكَتْب الأعمال التي تؤخذ باليمين أو بالشمال من خلف الظهر، والشفاعة والحوض مما استفاضت به الأحاديث.

٥ ـ الإيمان بالجنة والنار وهما موجودتان الآن، لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى من فيهما، ونعيم الجنة حسّي ومعنوي، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجهه الكريم ـ سبحانه ـ بأبصارهم. والنار عذابها حسي ومعنوي، ولا يبقى فيها أحد من أهل التوحيد ممن قال: لا إله إلا الله، بل لابد أن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين وبرحمة رب العالمين.

الإيمان بالقدر:

ونؤمن بالقدر خيره وشره، وأنه نظام التوحيد، فمن كذَّب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده، كما قال ابن عباس

ﷺ، والقدر سر الله تعالى في خلقه لم يطَّلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتسليم بالقدر إنما يكون في المصائب لا في المعايب، إذ لابد من الانتهاء عنها شرعًا، كما لابد من بذل الوسع في تعاطي ما أمر الله به من الأسباب، ومراتب القضاء ومشيئته وخلقه لها:

١ ـ أن نؤمن بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

٢ ـ ثم الإيمان بكتابة الله سبحانه المقادير، ويدخل فيه خمسة تقادير:

- التقدير (الأزلي) كتابة الميثاق.
- وتقدير (شقاوة العباد وسعادتهم).
- والتقدير (العمري).
- والتقدير (الحولي) في ليلة القدر.
- والتقدير (اليومي).

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه وتعالى يكون في

مواضع جملةً وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقيًا أو سعيدًا ونحو ذلك فهذا التقدير كما يقول ابن تيمية كان ينكره غلاة القدرية قديمًا ومنكروه اليوم قليل.

٣ ـ الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد.

٤ ـ والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٨)، وهذه الدرجة ـ كما يقول ابن تيمية ـ يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

الولاء والبراء:

أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله، ومقتضى الإيمان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، ومقتضى الكفر بالطاغوت: البراء من الشرك، وأهله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٥٥)، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا

بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ (الممتحنة: ٤)، من معاني الولاء: المحبة، والرضا، والنصرة، والطاعة، والمتابعة، والمعاونة، والقيام بالأمر، ولوازم هذه الأمور: كالتشبه، والركون، وإظهار المودة، وتولية الولايات، وهذه المعاني يجب صرفها لله، ولرسوله والمؤمنين، فيحب الله ورسوله والمؤمنين، ويرضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وينصر دين الله بكل ممكن ومستطاع، وينصر كل مؤمن ظالمًا أو مظلومًا (بأن يمنع الظالم من ظلمه، والمظلوم ممن ظلمه)، ويطيع الله، ويطيع رسوله ﷺ، وأولي الأمر من العلماء والأمراء، الذين يقودون الناس بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، ويتبع طريق المؤمنين، ويتشبه بالنبي ﷺ وصحابته الكرام، كما يهتم بأمر المسلمين، وينصح لهم، ويتعاونون معهم على البر والتقوى، ويتخذ منهم الأخلاء، والأصدقاء دون غيرهم.

ومن أحب الكافرين (المقطوع بكفرهم كفرعون وأبي جهل) ووادهم على كفرهم، ورضى بكفرهم وأطاعهم فيه، واتبعهم على مبادئهم المخالفة لدين الإسلام، فهو كافر مثلهم، كمن ينادي بالمساواة بين الأديان، ويقول: إن أهل الإيمان منهم اليهود والنصارى المكذبين برسول الله ﷺ.

ولا يجوز لمسلم أن يصادق الكفار، ولا أن يتشبه بهم فيما هو من خصائصهم، كما لا يجوز له مشاركتهم في أعيادهم، ولا تهنئتهم بها، أو بمظاهر الشرك التي يفعلونها، ولا يصح التسمي بأسمائهم، ولا الدعاء لهم بالمغفرة إذا ماتوا على الكفر، ولا التأريخ بتاريخهم، ويتحرز من السفر لبلادهم إلا لحاجة، أو ضرورة مع الحرص على إظهار شعائر الدين.

وليس من موالاة الكفار هديتهم، وعيادتهم في مرضهم، والعدل معهم، والتزوج من الكتابية، وأكل ذبائح أهل الكتاب، والبيع والشراء، والإجارة، والشركة، وقبول الهبة منهم، ورحمتهم بالرحمة العامة، ومجادلتهم بالتي

هي أحسن، والاستعانة بهم في مصالح المسلمين دون أن يكون لهم سلطان على المسلمين، وكذا إجابتهم الحق، ولتعظيم حرمات الله، ولنعلم أن المسلم أولى بكل خير، والكافر أولى بكل شر.

والله قد أذهب عنا عصبية الجاهلية، وتفاخرها بالأحساب، فالناس: مؤمن تقي، وفاجر شقي، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ويجب الحذر من دعوات القومية، والوطنية، والقبلية، فهي دعوات الجاهلية، لا يقبلها المسلم، ولا يقف تحت رايتها، ولا ينصر عليها، ولا يغضب لها، ولا يميز بين الناس استنادًا عليها، كما لا يجوز الانضمام إلى الهيئات والنِّحل التي تقوم على مبادئ تخالف دين الإسلام كالماسونية والعلمانية، ونحوها. قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء:٢١٦)، وقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨).

مسائل الإيمان والكفر:

١ ـ **الإيمان**: قول، وعمل، ونية: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣)، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، وسمى الصلاة إيمانًا، وقال سبحانه: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح: ٤).

وقال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة: أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

فالإيمان: قول باللسان، وإقرار بالجنان ـ القلب ـ، وعمل بالأركان.

٢ ـ من مات على التوحيد دخل الجنة يومًا من الدهر، يصيبه قبل هذا اليوم ما يصيبه، لأحاديث الشفاعة، وفضل الشهادة.

٣ ـ من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة، فهو مخلد في النار أبدًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ١١٦)، وأما من لم تبلغهم الرسالة

فهم من أهل الامتحان في عرصات القيامة، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

٤ ـ المسلم الذي يرتكب الكبائر، ويصر عليها ـ أي: لا يتوب منها ـ لا يُكفَّر بفعلها، ولا يخلد في النار لو دخلها في الآخرة، ما لم يستحلها لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء:١١٦)، وهذه الآية في غير التائب، لأن التائب من الشرك مغفور له، فالآية إذن فيمن مات على الشرك، ولكن ينقص إيمان المرء بمعصيته وفسقه، لقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1].

٥ ـ من رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة بغير دخول النار إلا تَحِلَّة القسم، ومن تساوت حسناته وسيئاته، فهو من أصحاب الأعراف، ومآلهم إلى الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق دخول النار.

٦ ـ ومن استحق دخول النار من عصاة الموحدين، فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ـ فالناس يدورون بين فضل وعدل في الدنيا والآخرة ـ ومن هذا

(١) رواه مسلم.

الصنف من يدخل النار بلا شك، ولكن المسلم لا يدخل النار دخول الكفار، ولا يعذب فيها عذاب الكفار، ولا يُخلد فيها خلود الكفار.

٧ ـ لا يختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها كافر مخلد في النار، حتى لو اعتقد صحتها بقلبه دون نطق لقوله ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله».

٨ ـ والخلاف فيمن ترك الأركان الأربعة تكاسلاً لا جحوداً ـ وهي الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج ـ من مسائل الاجتهاد عند أهل السنة لا يُبدع المخالف فيها، ولا يُفسق، وليست كمسألة مرتكب الكبيرة، فمن كفَّر مرتكب الكبيرة: كالزنا، والسرقة، أو حكم بخلوده في النار ـ كالخوارج والمعتزلة ـ فهو مبتدع.

وأما من كفَّر تارك الصلاة ـ وهي أشهرها ـ فهو مجتهد مأجور على أي حال، وكذا من لم يُكفر كفراً ينقل عن الملة فهو مجتهد، وهذه المسألة مما يسوغ فيها الخلاف

عند أهل السنة، وإن كان جمهور الفقهاء يقولون عنه: كفر دون كفر، أما تركها جحوداً فكفره معلوم من الدين بالضرورة.

٩ ـ ومثله الخلاف في تكفير بعض طوائف أهل البدع مما ليس فيه إجماع عند أهل السنة ـ بل هو من مسائل الاجتهاد ـ كالخوارج، ومتأخري القدرية، والمعتزلة، والروافض، والجمهور على عدم تكفيرهم.

١٠ ـ لا يُكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها، نقل الإجماع عليه ابن حزم، وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة)، سواء أكان خلافه في الأصول أم الفروع، وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي الشبهات، وتدرأ المعاذير، ويحيى من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك أيضًا عن بينة.

١١ ـ يثبت حكم الإسلام بالنطق بالشهادتين: بالنص، والإجماع، نقله ابن رجب وغيره، وكذا بالولادة لأبوين مسلمين لحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»[1].

---

(١) متفق عليه.

والولد يتبع المسلم من والديه، ومن توقف في الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين، أو ولد مسلمًا، ولم يُعلم عنه شرك، ولا رِدَّة، فهو مبتدع لمخالفته إجماع السلف الصالح على ذلك، ولا يستثنى من ذلك إلا من يقولها حال كفره، فلابد من نطقها مع البراءة من الكفر.

١٢ ـ استمرار عصمة الدم والمال لمن دخل في الإسلام متوقف على التزامه بالصلاة، والزكاة، وسائر حق الإسلام كما في الحديث: «أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله، واني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة...»[1].

١٣ ـ يجب الحذر في الجملة من تكفير من قد عُلم إسلامه بيقين لقول النبي ﷺ: «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها احدهما»، وقال ﷺ: «لَعْن المؤمن كقتله»، فثبوت عقد الإسلام بيقين لا يزحزح بشك، وإذا كانت الحدود تُدرأ بالشبهات، فأولى ثم أولى أمر التكفير، ولأن يخطئ الحاكم في العفو خير من أن يخطئ في القصاص.

---

(١) رواه مسلم.

وكان الإمام مالك يقول: «لو احتمل المرء الكفر من تسعة وتسعين وجهًا واحتمل الإيمان من وجه لحملته على الإيمان تحسينًا للظن بالمسلم».

وكان الإمام أحمد يقول لعلماء وقضاة الجهمية: «أنا لو قلت قولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم، لأنكم عندي جهال».

وإذا كانت الناس اليوم قد ورثت الإسلام وجهلت معانيه ولم تقم عليهم الحجة الرسالية قيامًا يتأكد معه أن يحيى من حيَّ عن بينة، وأن يهلك من هلك عن بينة، فعلينا بدعوتهم، والرفق بهم، وتعليمهم ما جهلوه من دين الله، لا المسارعة في تكفيرهم.

الصحابة والخلافة والإمامة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، وقال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي،